

روح المعاني

إلا بشرى أي بشارة لكم بالنصر ولتطمئن به قلوبكم لما فيها من إتصالها بما يناسبها وما النصر إلا من عند الله والأسباب في الحقيقة ملغاة إن الله عزيز قوي على النصر من غير سبب حكيم يفعله على مقتضى الحكمة وقد إقتضت فعله على الوجه المذكور إذ يغشيكم النعاس وهو هدو القوى البدنية والصفات النفسانية بنزول السكينة أمنة منه أي أمانة من عنده سبحانه وتعالى وينزل عليكم من السماء أي سماء الروح ماء وهو ماء علم اليقين ليظهركم به عن حدث هواجس الوهم وجنابة حديث النفس ويذهب عنكم رجز الشيطان وسوسته وتخوفه وليربط على قلوبكم أي يقويها بقوة اليقين ويسكن جأشكم ويثبت به الأقدام إذ الشجاعة وثبات الأقدام في المخاوف من ثمرات قوة اليقين إذ يوحى ربك إلى الملائكة أني معكم أي يمد الملكوت بالجبروت فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب لإنقطاع المدد عنهم وإستيلاء قدام الوهم عليهم فاضربوا فوق الأعناق لئلا يرفعوا رأسا واضربوا منهم كل بنان لئلا يقدروا على المدافعة وبعضهم جعل الإشارة في الآيات نفسية والخطاب فيها حسيما يليق له الخطاب من المرشد والسالك مثلا ولكل مقام مقال وفي تأويل النيسابوري نبذة من ذلك فارجع إليه إن أردته وما ذكرناه يكفي لغرضنا وهو عدم إخلاء كتابنا من كلمات القوم ولا نتقيد بآفاقية أو أنفسية والله تعالى الموفق للرشاد ثم إنه تعالى عاد كلامه إلى بيان بقية أحكام الواقعة وأحوالها وتقرير ما سبق حيث قال سبحانه : فلم تقتلوهم الخطاب للمؤمنين والفاء قيل واقعة في جواب شرط مقدر يستدعيه ما مر من ذكر إمداده تعالى وأمره بالثبوت وغير ذلك كأنه قيل : إذا كان الأمر كذلك فلم تقتلوهم أنتم بقوتكم وقدرتكم ولكن الله قتلهم بنصركم وتسليطكم عليهم وإلقاء الرعب في قلوبهم وجوز أن يكون التقدير إذا علمتم ذلك فلم تقتلوهم على معنى فاعلموا أو فاخبركم أنكم لم تقتلوهم وقيل : التقدير إن افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم لما روي أنهم لما انصرفوا من المعركة غالبين غانمين أقبلوا يتفاخرون يقولون : قتلت وأسرت وفعلت وتركت فنزلت وقال أبو حيان : ليست هذه الفاء جواب شرط محذوف كما زعموا وإنما هي للربط بين الجمل لأنه قال سبحانه : فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان وكان إمتثال ما أمر به سببا للقتل فليل فلم تقتلوهم أي لستم مستبدين بالقتل لأن الإقدار عليه والخلق له إنما هو الله تعالى قال السفاسقي : وهذا أولى من دعوى الحذف وقال ابن هشام : إن الجواب المنفي لا تدخل عليه الفاء .

ومن هنا مع كون الكلام على نفي الفاعل دون الفعل كما قيل ذهب الزمخشري إلى إسمية الجملة حيث قدر المبتدأ أي فأنتم لم تقتلوهم وجعل بعضهم المذكور علة الجزاء أقيمت

مقامه وقال : إن الأصل إن افتخرتم بقتلهم فلا تفتخروا به لأنكم لم تقتلوهم ونظائره كثيرة ولعل كلام أبي حيان كما قال السفاسقي أولى والخطاب في قوله سبحانه : وما رميت إذ رميت ولكن ارمى خطاب لنبيه E بطريق التلوين وهو إشارة إلى رمية صلى الله عليه وسلم بالحصى يوم بدر وما كان منه فقد روي أنه E قال : لما طلعت قريش من العقنقل : هذه قريش جاءت بخيلائها وفخرها اللهم إني أسألك ما وعدتني فأتاه جبريل عليه السلام فقال له : خذ قبضة من تراب فارمهم بها فلما التقى الجمعان قال لعلي كرم الله تعالى وجهه : أعطني قبضة من حصاء الوادي فرمى بها وجوههم فقال : شامت الوجوه فلم يبق مشرك إلا شغل بعينه